



الجمعة 11 يونيو 2021 11:26 م
د. فيصل القاسم

لا شك أنكم تساءلتم وأنتم تعرفون العنوان أعلاه: متى وقعت الثورة التركية؟ وهل هناك ثورة تركية أصلاً؟ طبعاً من حقكم أن تتساءلوا، فليس هناك ثورة تركية بالمعنى الثوري للثورة أبداً، لكن الحقيقة أن تركيا تقوم بثورة حقيقية منذ أكثر من عشرين عاماً نقلتها من عالم إلى عالم آخر تماماً. لست هنا أبداً بصدد التطليل والتزمير لحزب العدالة والتنمية دون غيره، لكن الأمانة الإعلامية والعلمية تحتم علينا أن نقارن وضع تركيا قبل وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة في عام 2002 بوضعها الآن بعد حوالي عشرين عاماً من حكم الحزب المذكور.

ماذا كنتم تعرفون عن تركيا إعلامياً قبل ذلك؟ بماذا كانت تشتهر تركيا من قبل؟ كيف كان العالم والعرب خصوصاً ينظرون إلى الإنسان التركي؟ لعل أشهر شيئين كانا يميزان تركيا هما الانقلابات العسكرية، وسعر الليرة التركية الذي كان مضرراً للمثل في التذني والرخص. فلم نكن نسمع عن تركيا في وسائل الإعلام قبل وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة سوى أخبار الجنرالات والانقلابات. وقد كان كثيرون يتندرون ويسخرون من العملة التركية. ومن النكات التي كنا نسمعها في ذلك الوقت أن شاباً سورياً ذهب للعمل في تركيا، وبعد فترة اتصل بأهله في سوريا ليقول لهم: سأقوم بتحويل ملايين الليرات التركية لكم قريباً، فطارت عقولهم من الفرحه عندما سمعوا بالملايين التركية التي ستصلهم من ابنهم، لكنهم فوجئوا لاحقاً بأن لا قيمة أبداً لملايين الليرات التركية، التي كانت قيمتها أرخص من الورق المطبوعة عليه. وذات يوم كان كل مليون ليرة تركية يعادل دولاراً أمريكياً واحداً. لا عجب إذ أن فرح أهل الشاب السوري بالملايين لأول وهلة ثم أصيبوا بالإحباط عندما وجدوا أن الملايين التركية لا تشتري كيلو لحمه.

من أهم إنجازات الثورة التركية الصامتة أن تركيا انتقلت خلال سنوات قليلة من دائرة العالم الثالث إلى دائرة أقوى عشرين اقتصاد في العالم، وصارت الليرة التركية حلم الكثيرين بعد أن تخلصت من ستة أصفار، وصارت من العملات المحترمة في العالم. وحدث ولا حرج عن المدن التركية التي كان بعضها يفقر إلى شبكات الصرف الصحي ومنها إسطنبول نفسها، حيث كانت الروائح الكريهة تنبعث من مياه المجاري، لتصبح اليوم من أجمل وأرقى مدن العالم وتجذب سنوياً ملايين السياح. من كان يحب أن يقضي عطلة الصيف في تركيا قبل تولي حزب العدالة السلطة في البلاد قبل عشرين عاماً؟ أما اليوم فقد غدت تركيا مهوى أفئدة السياح من أنحاء العالم كافة. وغدا شراء شقة في أي مدينة تركية حلاً لملايين البشر من معظم أنحاء المعمورة.

من كان يريد أن يحمل الجنسية التركية قبل عهد أردوغان؟ قلة قليلة جداً، أما اليوم فقد بات القاضي والداني يتفاخر بحصوله على الجنسية التركية لما باتت تتمتع به من سمعة عالمية. ما هي البصاعة التركية التي كان يشتريها الناس؟ ربما حلويات الراحة التركية، أما اليوم فقد باتت الصناعات التركية في كل المجالات تنافس الصناعات العالمية بامتياز، حتى في الصناعات الحربية. من منكم لم يسمع بطائرات بيرقدار المسيرة التي باتت تبلي بلاء حسناً في كل المعارك التي دخلتها؟ وحدث ولا حرج عن صناعة الأزياء والمطاعم والمواد الاستهلاكية. لقد صارت الملابس التركية تنافس الملابس الإيطالية والعالمية الأخرى بجودتها وأناقته وموديلاتها، ناهيك عن أنها أرخص تكلفة بكثير. هل شاهدتم المولات والمجمعات التجارية في مدن تركيا الكبرى؟ لا شك أنكم سخرتم من المولات الأوروبية التي تبدو مسكينة وكثيبة مقارنة بمولات إسطنبول العملاقة. من كان منكم يسمع بممثل أو

ممثلة او مسلسل تركي من قبل؟ ابدأ، لكن الفن التركي الآن يغزو العالم وغدا الممثلون والممثلات التركيات على كل لسان. لقد غزا الفن والبضائع التركية مختلف أنحاء العالم، وعندما خرجت بريطانيا من الاتحاد الأوروبي توجهت فوراً لعقد اتفاقيات تجارية مع تركيا دون غيرها لتزويد بريطانيا بالسلع الغذائية والمنزلية.

هل كنتم تسمعون باسم أي شركة تركية تنافس الشركات العالمية في الإنشاءات والتعمير؟ بالطبع لا. أما اليوم فقد صارت شركات التعمير والبناء التركية تغزو العالم وتنافس بقوة على المشاريع الكبرى. ماذا كان يُقال عندما كان يُذكر اسم التركي في البلاد العربية؟ كانوا يقولون: «الحلاق». لم يكن هناك أي شيء آخر يشتهر به الأتراك خارج بلادهم سوى المهن البسيطة، لكن العالم بات اليوم يشير للأتراك بالبنان في كل المجالات الكبرى.

وبينما كان جنرالات تركيا منشغلين بالانقلابات على بعضهم البعض قبل حزب العدالة وأردوغان، صار الجيش التركي الآن يجوب العالم ويبني استراتيجيات خارجية غير مسبوقه في تاريخ تركيا الحديثة، وعاد الناس ليتذكروا الفتوحات العثمانية التاريخية.

هل هذه ثورة عظيمة أم لا؟ لقد أنجزت تركيا ثورتها دون قطرة دم واحدة بفضل النخبة السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية. لقد علمتنا التجربة التركية أن الثورات يمكن أن تحدث بشكل صامت دون دماء ومظاهرات وفوضى. وهذا ما فعله حزب العدالة والتنمية بقيادة أردوغان الذي تجاوز أتانورك بمراحل في النهضة الصناعية والاقتصادية ووضع تركيا على خارطة الدولية. وعندما يتوفر القائد الوطني والحزب الوطني الحقيقي الذي هممه النهوض ببلده وشعبه، فالجميع سيقف معه ويشد على يديه. الثورات تحتاج إلى أبطال وطنيين وهم يحشدون الطاقات والشعوب وراءهم، وهذا ما فعلته القيادة التركية التي جعلت الأتراك جميعاً ينهضون في كل المجالات دفعة واحدة. لماذا؟ لأن الرأس نظيف ووطني، ولو كان الرأس فاسداً لفسدت البلاد والعباد، وكما يقول المثل: السمكة تفسد من رأسها، والثلم الأعوج من الثور الكبير. لكن النخب التركية كانت مضرباً للمثل في الوطنية والأمانة، لهذا قادت ثورة ناجحة هادئة بكل المقاييس دون أن تطلق رصاصة واحدة، فالقائد الوطني يصنع وطناً وشعباً عظيماً. وقد قلبت تركيا القول المأثور: «كما تكونوا يولى عليكم» إلى «كما يولى عليكم تكونوا». وسلامتكم

نقلا عن "القدس العربي"